

(ورد.. في أدعية الهم والحزن)

الورد السابع

جعل الله تعالى الدنيا دار ابتلاء وامتحان، تتعاقب فيها المحن كما يتعاقب الليل والنهار، وتتوالى فيها الكروب على القلوب، لتطهرها وتردّها إلى ربّها. وبرحمته جلّ جلاله، لم يترك عباده في لجة البلاء دون مرفأ، بل فتح لهم باب الدعاء، ووعدهم بالإجابة، ووعد الصابرين بالعاقبة الحسنة.

وقد ورد عن نبينا ﷺ -وهو أصدق الخلق توكلًا وأقربهم إلى ربّه- جملة من الأدعية في دفع الهموم، وكشف الكروب، كان يدعو بها ويُعلّمها أصحابه، فمن أخذ بها نال من الخير والطمأنينة بقدر صدقه ويقينه.

فعن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: (دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) [أخرجه أبو داود وحسنه ابن حجر والألباني].

فأرشد النبي ﷺ في هذا الحديث إلى كلمات يدعو بهن من أصابه غم وكرب رجاء أن ينفرج عنه ذلك، فيدعو بها العبد، يقول: (اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو) أي: نخضك برجاء الرحمة منك، فلا نرجوها من أحدٍ سواك، وهذه الرحمة تشمل الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن رحمة الله -تبارك وتعالى- بالعبد أن يجيب دُعائه، ويُعطيه سُؤله، ويرفع عنه الضر والغم والحزن والألم، ويتولى تدبير أمور العبد بحسن تدبيره.

ثم يطلب الله جلّ جلاله بعد سؤاله رحمته أمورًا، فيقول (فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ) أي: ربي لا تتركني إلى تدبير نفسي وتصريف أموري ولو لحظة يسيرة قدر ما يتحرك البصر لأنني لا أدري ما صلاح أمري وما فساد، وربما زاولت أمرًا واعتقدت أن فيه صلاح أمري، فانقلب فسادًا.

(وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ) أي: أصلح لي جميع أموري وأحوالي كلها، فإنني لا أستطيع إصلاحها إلا بإرادتك، وفي هذا إظهارٌ لشدة الافتقار، وأنّ العبد لا غنى له عن ربّه في كل شأنٍ من شؤونه؛ فيطلب إصلاح القليل والكثير، حتى الأمور اليسيرة، فإنّ هذه الأمور اليسيرة لا تيسّر إلا بتيسير الله.

ثم ختم هذا الدعاء المبارك بكلمة التوحيد (لا إله إلا أنت)، فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفرج الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وهو أفراد الله بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع.

(ورد.. في أدعية الهم والحزن)

في هذا الدعاء من تحقيق الرّجاء لمالك الخير كلّهُ، ومن عليه الاعتماد وحده، وتفويض الأمر إليه، والتضرع إليه أن يتولى إصلاح شأنه، ولا يكله إلى نفسه، والتّوسّل إليه بتوحيده؛ ما له تأثير قوي في دفع الهم والغم وتفريج الكرب.

واعلم -رحمك الله- أن صقّام الأمان عند الكرب، وحبل النجاة إذا ادلهقت الخطوب، هو صدق التّعبد لله جلّ في علاه، وتحقيق الالتجاء الخالص إليه بالدعاء والانطراح بين يديه.

فيا من أثقل قلبه الحزن، واعتري روحه الغمّ، توجّه إلى ربّك بكلّيتك، تضرّع إليه في خلوتك، وانقطع بصدقٍ إليه، وفوّض أمرك كلّهُ بين يديه، فهو وحده مقلّب الأحوال، ومفّرّج الكرب، ومالك زمام الأمور كلّها.

ما من عبدٍ يستغني عن ربّه طرفة عين، ولا ملاذ له من الله إلا إليه، ولا مفرّ له من الهموم والكروب إلا إلى جناب رحمته، فليس لها كاشفٌ سواه، ولا دافع لها إلا هو، ومن عرف ربّه في الضيق، لم يُخَيّب، ومن لجأ إليه صادقاً، عاد من عنده مطمئناً ساكناً قد امتلأ فؤاده يقيناً ونوراً.